نحو السبيل الأمثل لترجمة القرآن الكريم

بقلم

أ.د/ محمود بسيونى فودة

استاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

نحو السبيل الأمثل لترجمة القرآن الكريم

من الموضوعات التى صارت ذات اهتمام بالغ لدى أهل العلم فى عصرنا الحاضر هذا الموضوع الذى يسمى ترجمة القرآن وهو موضوع دار حوله جدل كثير بين مؤيد ومعارض وبداية نحب أن نوضح حقيقة هامة لاتحتمل جدلاً لأنها محسومة ومعلومة من الدين بالضرورة وهى أن الله سبحانه وتعالى ارسل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة فرسالته عامة وليست خاصة بزمان أو مكان وهذا ما نطق به القرآن صراحة ومن ذلك قوله عز وجل(قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون[1] ».

فهذا النص الكريم يشير صراحة إلى أن رسالة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هى رسالة عامة للناس جميعاً وهى تصلح كل زمان وكل مكان وبها اكمل الله دينه واتم نعمته ورضى الإسلام دينا وعليه فلا بد أن تصل هذه الرسالة إلى الناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم والوانهم وهذه مهمة جعلها الله سبحانه وتعالى على عاتق أهل العلم الذين اتبعوا هذا الرسول النبى الأمى محمد صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك كان موضوع ترجمة القرآ الكريم من الموضوعات الهامة فى الدراسات القرآنية وهو موضوع من الأهمية بمكان وذلك لأن هذا الموضوع يبنى عليه تبليغ رسالة الله عز وجل إلى الناس كافة مع اختلاف السنتهم وقبل أن نتحدث عن مدلول كلمة الترجمة نود أن نبين حقيقة أخرى وهى أن هذا القرآن الذى جعله الله تعالى هدى للناس وبينات

---

١ - الاعراف ١٥٨.

من الهدى والفرقان قد أنزله الله عز وجل بلفظه على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبلسان عربى مبين وتكفل الله عز وجل بحفظه فى الصدور والسطور الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وفى هذا يقول الله سبحانه. (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الآمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) [١].

وقال سبحانه إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون [٢].

فهذا القرآن الكريم مسموع بالآذان مقروء باللسان محفوظ فى الصدور والسطور وهو قرآن نزل باللفظ والمعنى على قلب النبى محمد صلى الله عليه وسلم وبلسان عربى مبين وعليه فمن الواجب على اهل العلم أن يبلغوا رسالة ربهم إلى الناس كافة وهذا التبليغ يحتاج إلى مخاطبة أهل الأرض بلغاتهم وذلك ليتعلموا امور هذا الدين الذى جعله الله سبحانه وتعالى هدى للعاملين من أجل ذلك كان موضوع ترجمة القرآن الكريم من الموضوعات الهامة ومن الأهمية بمكان وهو يحتاج إلى دراسة وأناه ومعرفة مدلول الترجمة للقرآن الكريم حتى لايحدث لبس أو غموض وهو أمر ادى إلى جدل وخلاف واخذ ورد ومرده فيما أرى عدم الحسم لموضوع الترجمة وبيان أن ترجمة القرآن الكريم لاتعنى ابداً نقل القرآن الكريم بجميع مقاصده واغراضه إلى لغة اخرى على أنه قرآن إذ لم يقل احد بهذا أبداً لأن القرآن هو المنزل من الله تعالى بلفظه وباللسان العربى ولا يحل لأحد أن يغير أو يبدل حرفاً أو يضع كلمة مكان كلمة لأنه بهذا الترتيب الموجود بين دفتى المصحف هو تنزيل من رب العالمين وكل آية فى موضعها رتبت ووضعت بوحى من الله عز وجل لرسولة محمد صلى الله عليه وسلم.

١- الشعراء، الآيات من ١٩٢-١٩٥.

٢- الحجر ٩.

* نظرة تاريخية حول هذا الموضوع *

الناظر فى موضوع ترجمة القرآن يجد أن هذا الموضوع له جذور امتدت كما يرى بعض الباحثين إلى عهد الصحابة رضوان الله عليهم فقد روى أن اهل فارس شعروا بشئ من الصعوبة عند النطق لبعض الكلمات العربية فطلبوا من سلمان الفارسى أن يعبر لهم بالفارسية عن معانى الفاتحة ففعل ونحب أن ننوه هنا بأن ماقام به سلمان الفارسى كان بمثابة التفسير لمعانى سورة الفاتحة التى هى أم الكتاب والتى اجملت ماحفل فى القرآن كله كما قال الامام الشيخ محمد عبده واقتداء بما فعله سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه نجد الإمام أبا حنيفة فى صدر حياته يجد طوائف من الفرس قد دخلوا فى الاسلام وتعلموا شيئاً من اللغة العربية إلا أن السنتهم لم تكن قد الفت النطق بها من غير رطانة اعجمية . بل كانت تتلوى فى مخارج الحروف العربية. ولعل حالهم يشبه الأعاجم فى عصرنا الحاضر الذين وفدوا من دول تنطق بألسنة اخرى فسوغ ابو حنيفة لهؤلاء أن يقرءوا معانى الفاتحة بلغتهم الفارسية ولكن نود أن ننوه هنا بأن الامام أبا حنيفة عندما قال بذلك لم يقل ابداً بأن معانى الفاتحة هى القرآن الكريم فمن المقطوع به أن أبا حنيفة لم يعتبر الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعنى فقط فذلك مالم يقله احد من اهل الايمان الذين يعتد بقولهم حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأه جبريل القرآن بلفظه ومما لاريب فيه أن القرآن هو من الله تعالى فليس لجبريل ولا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى دخل فيما يتعلق بلفظه لأنه كلام رب العالمين يقول عز وجل (لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه)[1] ومن جانب آخر يحدثنا أبوعبد الله الريحانى فى كتابه (تاريخ القرآن عن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الآخرى فيقول ربما كانت أول ترجمة إلى اللغة اللاتينية لغة العلم إلى اوربا وذلك سنة

١- القيامة ١٦-١٩.

١١٤٣م بقلم«كنت» الذى استعان فى علمه ببطرس الطليطلى وعالم ثان غربى فيكون القرآن قد دخل اوربا عن طريق الأندلس وكان الغرض من ترجمته عرضه على دى كلونى بقصد الرد عليه ونجد فيما بعد أن القرآن ترجم ونشر باللاتينية (١٩٠٩م) ولكن لم يسمح للقراء أن يقتنوه ويتناولوه لأن طبعة لم تكن مصحوبة بالردود وفى عام ١٩٥٤ أصدر هنكلمان ترجمته وجاءت على الاثر ١٩٩٨ طبعته مرتشى مصحوبة بالردود وهكذا على مدار التاريخ نجد أن كثيراً من الباحثين والكتاب أكثرهم من المسيحيين قاموا بما اسموه ترجمة القرآن حتى بلغت بإحصاء بعض الباحثين مائة وعشرين ترجمة فى خمس وثلاثين لغة مابين شرقية وغربية وتكرر طبع هذه الترجمات حتى إن ترجمة واحدة هى ترجمة سيل الانجليزى طبعت اربعا وثلاثين مرة واوفر هذه الترجمات واكثرها تداولاً وطباعة هى الترجمات الانجليزية فالفرنسية فالألمانية فالإيطالية وهناك خمس ترجمات فى كل من اللغتين الفارسية والتركية واربع ترجمات باللغة الصينية وثلاث باللاتينية واثنان بالأفغانية وواحدة بالجاوية واخرى بالاردية [1].

هذا ونود أن نبين هنا أن كل مسلم يغار على دينه يأسف لهذا الأمر ذلك لأن كثيراً من هذه الأعمال التى اطلق عليها (ترجمة القرآن) قام بها جماعة من هؤلاء الذين لايدينون دين الحق ومن الطبيعى أن من يكتب عن الإسلام ولايؤمن به فهو لايؤتمن علي عمله ولايتوقع منه الإنصاف بحق وحيدة كما يرغم بعض المستشرقين وبعد هذا تنتقل إلى الأمر الهام الذى به يمكن أن يحسم الخلاف والجدل حول جواز الترجمة للقرآن الكريم فمن قائل بالمنع ومن قائل بوجوب ذلك والمسألة عندما نتدارسها بآناه فإننا نرى أن هذا الأمر سيتجلى ولن يكون هناك لبس أو غموض ويتأتى ذلك فى بيان مدلول كلمة الترجمة من حيث اللغة وهذا ماسنبدأ به حديثنا إن شاء الله.

---

١ - انظر منا هل الفرقان للزرقانى جـ ٢ ص ٣٠.

* معنى الترجمة *

قبل أن نتحدث عن حكم ترجمة القرآن الكريم نود أولاً أن نبين معنى الترجمة لغة وعرفا ثم نقسمها إلى حرفية وتفسيرية إذ أن تجلية معنى الترجمة كما قلنا يجعل من الميسور على أى باحث منصف أن يقول كلمة الفصل فى هذا الموضوع الهام الخطير والذى كان مثار نزاع وشقاق بين علماء الأزهر وبخاصة فى عصرنا الحاضر من أجل ذلك نقول بتوفيق الله.

تطلق الترجمة فى معناها اللغوى على معان اربعة

أولها (التبليغ) وايصال الكلام لمن لم يبلغه ومنه قول القائل /إن الثمانين وبلغتها.. قد احوجت سمعى إلى ترجمان .

ثانيها تفسير الكلام وتأويله وذلك بلغته التى جاء بها ولعل هذا هو ماقاله المفسرون والباحثون على ابن عباس بأنه ترجمان القرآن.

ثالثها تفسير الكلام وتأويله بلغة غير التى جاء بها جاء فى القاموس ولسان العرب أن الترجمان هو المفسر للكلام وقال شارح القاموس مانصه وقد ترجم عنه اذا فسر كلاماً بلسان آخر.

رابعها نقل الكلام من لغة اخرى وفى هذا يقول صاحب لسان العرب الترجمان بالضم والفتح هو الذى يترجم الكلام أى ينقله من لغة إلى اخرى والجمع تراجم ومن باب التوسعة فى معنى ترجمة أو أجيز اطلاق الترجمة على كل مافيه بيان فمثلاً يقال ترجم لفلان أى بين تاريخه وترجمة هذا الباب كذا أى بيان المقصود منه وترجم لهذا الباب بكذا أى عنوان له هذه هى المعانى اللغوية والمدلول اللفظى لكلمة ترجمة أما الترجمة بمعناها العام المعروف فلعله يتفق مع المعنى الرابع اللغوى الذى ذكرناه آنفاً ويمكن أن تعرف الترجمة على هذا بأنها:-

التعبير من معنى كلام فى لغة بكلام اخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده.

*تقسيم الترجمة *

تنقسم الترجمة على حسب هذا المعنى الحرفى إلى قسمين

أولهما الترجمة الحرفية وتعنى نقل الفاظ من لغة إلى نظائرهامن اللغة الأخرى أى محاكاة الأصل فى نظمه وترتيبه بحيث يكون النظم موافقا للنظم والترتيب موافقا للترتيب فهى تشبه كما يقول فضيلة الشيخ عبد العظيم الزرقانى وضع المرادف مكان مرادفه.

ثانيهما الترجمة التفسيرية أو المعنوية وهى التى يراعى فيها معنى الكلام دون محاكاه الأصل فى نظمه وترتيبه وسميت تفسيرية. لأن التركيز فيها يكون على حسن تصوير المعنى ومراعاة اصول الفكرة بقدر الطاقة . ونضرب مثالاً لذلك بقول الله عز وجل . (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربيانى صغيراً) [١].

فأنت إذا اردت ترجمتها ترجمة حرفية أتيت بكلام من لغة اخرى يدل على الأمر بخفض جناح الذل للوالدين ولعل من ترجم له هذا المعني ترجمة حرفية لايستطيع أن يفهم المراد ولعله يقول لم أمر الله بخفض جناح الذل وهل الذل له جناح أما إذا اردنا ترجمة هذا النص ترجمة تفسيرية فانك بعد وأن تتدبر هذه الآية الكريمة تستطيع بعد هذا أن تأتى بعبارة تدل على هذا الأمر والذى يحض على العناية بالوالدين.

* شروط الترجمة *

هناك امور لابد أن تتوافر حتى يمكن نقل كلام من لغة إلى لغة اخرى ونستطيع أن نلخص ذلك فيما يلى :-

---

١- الاسراء ٢٤.

١- أن يكون المترجم عنده المام تام باللغتين لغة الأصل ولغة الترجمة.

٢- وفاء الترجمة بجميع معانى الأصل ومقاصده.

٣- المام المترجم ومعرفته لأساليب وخصائص كل من الترجمتين.

* معانى القرآن ومقاصده *

من المعروف لدى فقهاء اللغة أن كل كلام بليغ لابد أن يشتمل على ضربين من المعانى بمعنى أن يكون له معان اصلية ومعان ثانوية ويدخل فى هذا القرآن الكريم ايضاً والمعانى الأصلية هى المعانى التى يستوى فى فهمها كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة وعرف وجوه تراكيبها معرفة اجمالية والمعنى الأصلى للكلام هو المقصد الذى انبنى عليه الكلام وما سبق له من قصة أو حكمة أو عظة [١].

أما المعانى الثانوية فهى مايستفاد من الكلام زائداً علي معناه وسميت معانى ثانوية لأنها تأتى فى الإدارك بعد الفهم الأصلى، هذا ويمكن أن نحدد مقاصد القرآن فى هذه الامور الثلاثة.

١- هداية الخلق إلى الحق.

٢- كون القرن معجزة دالة على صدق النبى محمد صلى الله عليه وسلم فيما آتى به من ربه.

٣- التعبد بتلاوه القرآن الكريم.

١- انظر القرآن المعجزة الكبرى للأمام محمد ابو زهرة.

* حكم ترجمة القرآن تفصيلا *

والآن وبعد هذا الايضاح والبيان للترجمة بمعناها اللغوى والترجمة بمعناها العام تنتقل الآن إلى حكم ترجمة القرآن الكريم وسنحاول كما فعل اهل العلم الذين لهم رسوخ فيه أن نربط بين المعانى اللغوية وهى أربعة وبين الحكم على ترجمة كتاب الله تبارك وتعالى.

١- ترجمة القرآن بمعنى تبليغ الفاظه وهذه الترجمة من الوضوح الذى لا مراء فيه ولقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ رسالة ربه على أكمل وجه حيث خاطبه الله عز وجل بقوله (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لايهدى القوم الكافرين). [١] .

ولقد لبى رسول الله صلي الله عليه وسلم نداء ربه فقرأه على اصحابه ونقل إليهم كل ماتلقاه عن الله عزوجل بصورة كاملة دون نقص أو زيادة.

٢- ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغته العربية والجمهور على تفسير القرآن بهذا المعنى حيث إن التدبر فى آيات الله عز وجل يعد من فروض ، الكفايات يقول الله عز وجل (كتاب انزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا اولوا الألباب) [٢].

٣- ترجمة القرآن بمعنى تفسير بلغة اجنبية وتفسير القرآن بغير لغته العربية اطلاق يرتبط بالمعنى اللغوى للترجمة ويراد به أن يفسر القرآن الكريم ولكن بلغة اخرى غير اللغة العربية وحكم هذه الترجمة هو حكم تفسير القرآن بلغته العربية وهو عمل يعد ايضا من فروض الكفايات حيث إن تبليغ معاني القرآن الكريم ومبادئ الإسلام إلى الناس كافة يعد من الأمور التى اوجبها الله عز وجل على اهل العلم الذين حملوا

١- المائدة ٦٧.

٢- ص ٢٩ .

أمانة تبليغ دعوة الله إلى الناس كافة وتفسير القرآن بغير لغته يعد من الأهمية بمكان ففيه تصحيح كما سمى بتراجم القرآن فى اللغات الأوربية وبيان وجه الخطأ فيها ثم إن كثيراً من الناس يريدون معرفة مبادئ الأسلام ومن الواجب أن يتعلموها من منابعها وبالصورة التى تتفق مع مبادئ الإسلام الحقة دون تشويش أو غموض أو لبس على أنه من الواجب أن نعلم الناس بأن هذا العمل لايعد نقلاً للقرآن الكريم وماهو الا تفسير للمعنى بغير لغته.

٤- ترجمة القرآن بمعنى نقله إلى لغة اخرى وهذا هو المعنى الرابع والآخير بالنسبة لترجمة القرآن الكريم وهو يعنى التعبير عن معانى الفاظ القرآن الكريم ومقاصده بالفاظ غير عربية مع الوفاء بجميع هذه المعانى والمقاصد [١].

والجمهور من العلماء على أن ترجمة القرآن بمعنى نقله من لغته إلى لغة اخرى بجميع مقاصده ومعانيه أمر محكوم عليه بالإستحالة العادية والشرعية حيث اجمع العلماء سلفاً وخلفا على عدم جواز رواية القرآن بالمعنى فلابد أن ينطق بلفظه كما انزل على قلب النبى محمد صلى الله عليه وسلم.

((وبعد))

فهذه كلمة كتبت على عجالة فى هذا الموضوع الهام ارجو أن اكون قد وفيته حقه قدر الطاقة واسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الراشدين وأن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه إنه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

١- انظر منهل العرفان للزرقانى جـ ٢ ص ٤٠ .